الأمانة

السؤال : **ما الأمانة المقصودة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ومن هذا الإنسان ؟ وهل معنى : ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ تحمل معنى العصيان أم ماذا ؟**

الجواب : المقصود بالأمانة فى الآية الكريمة : التكاليف التى كلف اللّه بها الإنسان ، وقد أبت السماوات والأرض والجبال حملها لا تمردًا ، بل خوفًا ورهبة من ساعة الأداء .

وقيل : إن الأمانة هى : المحافظة على الصلوات وأداء الزكاة والصوم والحج ، أو هى : جميع أمانات الناس وودائعهم ، أو هى : صيانة المرأة لعرضها ، أو صيانة الإنسان لدم غيره .

والإنسان فى الآية هو آدم عليه السلام ، وقال بعضهم : هو نوع الإنسان كله .

ثم إن كلمة : ﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ لا تدل على معصية السموات والأرض والجبال لأمر اللّه ؛ لأن المسألة ليست تكليفًا بعرض ، والعرض المعروض عليها لها حرية أن يفعلنه أو لا يفعلنه ﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ ليس معناها عصيان أمر اللّه بعدم القبول ، أي أمر يتأتى منها لا معصية فيها . وهنا مشكلة تتمثل فيها كل مشاكل الحياة فيما يتعلق بالأمانات ، وهى أن السماء والأرض والجبال خافت ، ولم تأمن نفسها ساعة الأداء ، خافت وأشفقت على نفسها من المخالفة فمن أول الأمر لم ترد الاختيار ، وآثرت أن تكون مسيرة مسخرة . ولكن الإنسان قدر نفسه ساعة التحمل ، ولم يقدر نفسه ساعة الأداء ، لم يقدر أنه سيتعرض لمغريات الحياة ، ولذلك قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

obeikandl.com

أى : جهولا ساعة الأداء هل سيؤدى أم لا يؤدى ، والإنسان ظلوم لأنه حمل نفسه مسألة لا يطيقها إلا بعزم ، وهو غير مأمون عليها ، وكأن الحق تبارك وتعالى يقول لنا : لا تغتر بنفسك ساعة التحمل ، لكن اعرف نفسك ساعة الأداء . ولذلك الحق سبحانه وتعالى حينما يتكلم عن قضية الدين فى القرآن يقول : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فالقرآن لم يَحْمِ الدائن فحسب ، وإنما يحمى المدين أيضًا ، لأن المدين إذا عرف أن دينه موثق دأب وَجَدَّ وعلم أنه لا مناص من الأداء ، وعليه أن يجد ويدأب ويعمل ، ليؤدى لكن لو لم يُكْتب ربما ساعة الأداء لا يؤدى ، ولو أن المدين نجح فى عدم أداء الدين ، فقد أفسد حركة التعامل فى الوجود .

وما دام الاختيار موجودًا فى أنك تستطيع أن تفعل هذا ، أو لا تفعله أي تستطيع أن تقول : إننى أخذت المال ، أو لم آخذه ، فهنا تكون أمانة الاختيار موجود ، وأنت وأمانتك ، تستطيع أن تقول الحق ، أو تنكره .

فإذا قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] فمعنى ذلك أن هذه الأشياء كلها قد رفضت أن يكون لها اختيار فى أمورها وفضلت أن تكون مقهورة مسخرة لما يريده اللَّه لها سبحانه وتعالى لماذا ؟ لأنها جميعًا خافت عواقب هذا الاختيار ، وما يمكن أن يؤدى بها إلى معصية أو إلى مخالفة لأمر اللَّه ، ولكن الإنسان بعقله قبل الأمانة ، قبل أن يكون له اختيار . هب أن إنسانًا جاءك ، ومعه مبلغ كبير من المال ، وقال : أنا أريد أن أضع هذا المبلغ عندك أمانة ، أحد أمرين : إما أن يكون تصرفك كتلك المخلوقات التى رفضت أن تحمل الأمانة بأن تقول لنفسك : إن هذا اختيار صعب . . هذا الرجل سيترك لى ماله . . وقد تمتد يدى إليه ، وقد أنفقه فيما أنفق مما تغرينى به الحياة ، ثم بعد ذلك يأتى وقت السداد فلا أجد المال ، فحتى لا أقع فى أي إغراء ، وأقطع الشك باليقين فإننى أرفض هذه الأمانة ؛ لأنها تعرضنى إلى ما لا أستطيع أن أحتمله ، وإلى إغراء الشيطان ، ومن هنا فأنا لا أريد أي اختيار لنفسى ، ولن آخذ هذا المال كأمانة .

إذن . . فالأساس هنا هو الاختيار ، والإنسان عندما حمل الأمانة ،

أخذ حرية الاختيار فى أن يفعل أو لا يفعل ، ومن هنا كانت الرسالات السماوية التى نزلت للإنسان ؛ لأنه قبل حمل الأمانة ، أى أخذ الاختيار فى يده ليفعل ما يرضى اللَّه ، وأن يتجنب ما يغضبه ، ولكن إغراء الشيطان ، وبريق الدنيا وضعف النفس البشرية لم يكن فى حسابه ، وبذلك ﴿ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ أى : ظلومًا لنفسه فى أنه اعتقد فيها أكثر من قدراتها ، وهذا هو الغرور الذى أدى بالنفس التى يدخل بها إلى خروج الإيمان منها ، الغرور الذى جعل قارون يقول : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] أى : إن الإنسان يغتر بنفسه وعقله وقدراته ، ناسيًا أن هذه القدرات هى من عند اللَّه ، وأنه هو الذى أعطاها له ويستطيع أن يأخذها منه ، ﴿ جَهُولًا ﴾ أى : إن الإنسان جاهل بالحقيقة التى حوله فى أن اللَّه سبحانه وتعالى هو القادر ، والمعطى والمانع ، والرافع والخافض ، والمعز والمذل .

وهكذا حمل الإنسان الأمانة ووضع فيه اللَّه سبحانه وتعالى أمانة البدائل فى إفعل ولا تفعل ، وما دام الحق قد قال للإنسان : إفعل كذا فمعنى ذلك أن فى مقدوره أن يفعل هذا .

obeikandl.com

الأمانة فى القرآن

السؤال : ما الأمانة التى حملها الإنسان . . وهل خير الإنسان فى حملها ؟

الجواب : الكون كله أشفق على نفسه من تحمل الأمانة وهذا يعنى أن الأمانة سوف تكون عرضة للتصرف والاختيار ، ولا كائن فى الكون قد ضمن لنفسه القدرة على الوفاء وقت الأداء . لقد أعلنت الكائنات قولها ﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ تحمُّل الأمانة وكأنها قالت : إنّا ياربنا نريد أن نكون مُسَخَّرين مقهورين لا اختيار لنا ؛ ولذلك نجد الكون كله يؤدى مهمته كما أرادها اللّه ، ما عدا الإنسان ، أى : أنه الذى قبل بما له من عقل وتفكير أن يتحمل أمانة الاختيار ، وبلسان حاله أو بلسان مقاله قال : إننى قادر على تحمل الأمانة ؛ لأنى أستطيع الاختيار بين البدائل .

وهنا نُذَكِّر الإنسان : إنك قد تكون قويا لحظة التحمل ، ولكن ماذا عن حالك وقت الأداء ؟ لذلك قال اللّه تعالى عنه : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لقد ظلم الإنسان نفسه حيث حمل الأمانة ولم يف بها فلذلك فهو ظلوم . وهو جهول لأنه قَدّر وقت التحمل ، ولم يقدّر وقت الأداء ، أو ضمنها ثم خالف ما عاهد نفسه على أدائها .

إذن . . فالإنسان وإن كان واثقًا أنه سيؤدى الأمانة إلّا أنه عرضة للأغيار ، لذلك قال الحق سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فرصة ليحمى الإنسان نفسه من الضعف وقت الأداء ، فاللّه سبحانه وتعالى يريد أن يوثق الأمر توثيقًا لا يجعلك أيها العبد خاضعًا لذمتك الإيمانية فقط ، ولكنّك تكون خاضعًا للتوثيق الخارج عن إيمانيتك أيضًا ، وذلك يكون بكتابة الدين صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله .

ويقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] وهذه

الكلمة : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا ﴾ إنما هي أداء معبر ، لأن كلمة : « شهادة » تعنى الشىء الذى شهدته ، فما دمت قد شهدت شيئًا فهو واقع ، والواقع لا يتغير أبدًا ، ولذلك فالإنسان الذى يحكى لك حكاية صدق لا يختلف قوله فى هذه الحكاية حتى وإن رواها ألف مرة ؛ لأنه يستوحى واقعًا .

لكن الكذّاب يستوحى غير واقع ، فيقول كلمة ، وينسى أنه كذب من قبل فيكذب كذبة أخرى ؛ لأنه لا يستوحى واقعًا . فكلمة الشهادة هي عن أمر مشهود واقع ، وما دام الأمر مشهودًا وواقعًا ، فإنه يلح على نفس من يراه أن يخرج ، فإياك أن تكبته بالكتم ؛ لأن كلمة « الكتم » تعنى أن شيئًا يحاول أن يخرج وأنت تحاول كتمانه ، لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] فكأن الطبيعة الإيمانية الفطرية تلح على صاحبها لتنطقه بما كان مشهودًا له لأنه واقع .

لذلك يأتى الأمر من الحق سبحانه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

وقد يسأل الإنسان : هل الكتم هنا صفة للقلب أو للإنسان الذى لم يقل الشهادة ؟

إن الشاعر يقول :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جُعلَ اللسانُ على الفؤاد دليلاً

وساعة يؤكد الإنسان شيئًا فهو يأتى بالجارحة التى لها علاقة بهذا الصدد ، فيقول : أنا رأيته بعينى وسمعته بأذنى ، وأعطيته بيدى ومشيت له برجلى . إنك تذكر الجارحة التى لها دخل فى هذه المسألة .

وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا وقال فى حجة الوداع : « إن كل ربا موضوع ولكم رؤوس أموالكم لا تظلمون »[1] .

---

(١) روى أبو داوود [٣٣٣٤] وابن ماجه [٣٠٥٥] عن سليمان بن عمرو عن أبيه رضى الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول : « ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوعٌ لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ألا وإنّ كل دَم من دمِ الجاهلية موضوع وأول دمٍ أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب » كان مسترضعاً في=

وتلك سمة سمو التشريع السماوى ، إن التشريع البشرى يحمى به صاحبه أقاربه من التقنين ، لكن التشريع السماوى يفرض تطبيقاته أولاً على الأقارب . وكان الأسوة فى ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللَّه تعالى عنه ، فساعة يريد عمر أن يضع التشريع فإنه يجمع أهله وأقاربه ويلزمهم به أولا .

إن الحاكم المسلم عليه أن يعلن للمحكومين أن القوانين إنما تُطبق عليه أولاً وعلى من يعول . هكذا قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فى حجة الوداع « وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع رِبَانا ، رِبَا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله »[1] .

وفى معركة بدر ، أخرج الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أهل بيته ليحاربوا ؛ لأنه لو لم يخرج أحدًا من أهل بيته لقال واحد من الكفار : إنه يحمى أهل بيته ولو أن أجر الاستشهاد هو الجنة فلماذا يقدم الأباعد ولا يقدم أحبابه للقتال ؟

لكن ها هو ذا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقدم أقاربه وأحبابه ، فهو العارف من ربه بأمر الشهادة وكيف أنها تقصر على الإنسان متاعب الحياة وتدخله الجنة . هكذا كانت المحاباة فى صدر الإسلام ، إنها محاباة فى الباقى ، ولم تكن كمحاباة الحمقى فى الفانى .

وحين يعلمنا الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ذلك ويضرب على أيدى المرابين فهذه هي الحرب التى يجب أن تقوم ، حرب من اللَّه المالك القادر على المحاربة ، أما الضعاف الذين لا يستطيعون القتال فهم لا يحاربون ؛ لأنهم أمام خالقهم وقاهرهم فلا يقدرون على حربه ؛ ولذلك يجب أن تتنبه الدولة إلى مثل هذه الأمور وتقنن تقنينًا إسلاميا وبعد ذلك إذا لم تتسع الزكاة المفروضة إلى ما يقوم بأود المحتاجين فلتفرض الدولة ما تشاء لتفى بحاجة المحتاجين .

= بني ليث فقتلته هذيل . قال: « اللهم هل بلغت » قالوا: نعم ثلاث مرات ، قال : « اللهم اشهد » ثلاث مرات . وهو عند الترمذى [٣٠٨٧] وقال الألبانى : صحيح .

(١) رواه مسلم [١٢١٨/١٤٧] عن جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه تعالى عنه .

والحق سبحانه وتعالى بعد أن أوضح الأمر عقيدة فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وتقنينًا للعقيدة فى قوله : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وحماية للعقيدة بأمره سبحانه المؤمنين أن يقاتلوا لتكون كلمة اللَّه هي العليا ، وبعد ذلك تكلم الحق عن حماية حركة الاقتصاد فى الإنفاق أولاً فى سبيل اللَّه ، والإنفاق على المحتاجين .

obeikandl.com

طريق النجاة من الخطيئة ؟

السؤال : كيف تحيط الخطيئة بصاحبها وما السبيل إلى النجاة منها ؟

الجواب : حين تقرأ فى القرآن الكريم قول اللّه تعالى : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] .

ترى ما يفيد الارتفاع والعلو فى الهداية ، وما يفيد الانخفاض والنزول فى الضلالة ؛ وإنما كان العلوّ فى الهدى ، لأن المنهج قَيَّدَ حركة حياتك إعزازًا لك لعلوك وسمو مقامك فى أنك لا تأخذ من بشر تشريعًا ، ولا تأخذ من ذاتك حركة . . وإنما يرتفع بك لتتلقى عن اللّه سبحانه وتعالى ، وهذا علو كبير . . ولكن عند الضلال قال : ﴿ فِي ضَلَٰلٍ ﴾ ، و ﴿ فِي ﴾ تدل على الظرفية المحيطة . وهو كما وصفه اللّه سبحانه وتعالى فى آية أخرى بقوله جل جلاله : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] .

أحاطت به الخطيئة ، أي لا يستطيع أن يفلت منها لأنه مظروف فى الضلال ، وما دامت الخطيئة محيطة به فلا يجد منفذًا لأنها تحكمه ، وما دامت تحكمه فلا يمكن أن يصل إلى هدى مطلقًا ، فالحق سبحانه وتعالى حينما قال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] ، اختار لفظًا عليه دلالة دنيوية تقرب المعنى إلى السامع .

ما الفلاح ؟ المعنى العام هو الفوز . والمُفْلِحُ هو الفائز . ومعنى الآية الكريمة أولئك هم الفائزون ، وقال : ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، لأن الفلاح مأخوذ من شق الأرض للبذر ، ومنه سُمِّىَ الفلاح الذى عمله شق الأرض ورمى البذور فيها .

والحق سبحانه وتعالى جاء بهذا اللفظ بالنسبة للآخرة لأنه يريد أن يأتى

لنا مع الشيء بدليله ، وهناك فرق بين أمر غيبى لا نعرفه . . وأمر غيبى يستدل عليه بمشهود .

فالدين يقيدُ حريتك فى الحياة فى أن تفعل ولا تفعل . . ومنهج اللَّه جاء ليقول لك : إفعل كذا ولا تفعل كذا . وكثير من الناس يظن أن ذلك تقييد لحركة حياة المؤمن وإثقال عليه ، لأنه أخذ منه حرية حركته فقيدها .

إن اللَّه تبارك وتعالى حين يقول لك لا تفعل ، معنى ذلك عند السطحيين أنه ضيق عليك ما تريد أن تفعل ، وحين يقول لك إفعل ، معناه يكون قد ضيق عليك فى شيء لا تريد أن تفعله . فمثلاً : حين يطلب منك الزكاة ، فالزكاة فى ظاهرها نقص المال ، وإن كانت فى حقيقتها بركة ونماء ، ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد للَّه إلا رفعه »[(١)] .

فالحق سبحانه وتعالى إذا قيد حركتك فى الحياة . . لا تظن أن هذا تضييق عليك ، بل إن هذا لفائدتك ، لأنه لم يأمرك وحدك ، ولكن الأمر للناس جميعًا حين يقول جل جلاله : لا تسرق ، فقد قالها للناس جميعًا ولذلك تكون أنت الرابح ، لأنه قيدك وأنت فرد من أن تسرق من غيرك ، ولكنه قيد ملايين الناس من أن يسرقوا منك ، إذن فاللَّه لم يضيق عليك ، ولكنه حمى مالك من الناس كل الناس ، قيدك وأنت فرد أن تسرق من مال غيرك ، وقيد ملايين الناس أن يسرقوا من مالك ، فمن الفائز ؟ أنت طبعًا .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ من مادة فلح ، فإذا كانت الأرض صماء فحينما نشقها ونبذرها تعطى محصولاً عظيمًا ، الأمر أخذناه أبا عن جد . فالأرض حين تشق وتُبذر تُعطى محصولاً وافرًا ، وإذا كان هذا الأمر أخذ أبا عن جد ، يأتى السؤال من الذى علم آدم البذر والزرع ؟ ، نقول علمه اللَّه سبحانه وتعالى كما علمه الأسماء ، وكما علمه ما يمكنه به أن يباشر مهمته فى الأرض .

والحق جل جلاله لم يكن يترك آدم فى حياته على الأرض بدون أن

---

(١) رواه مسلم [٢٥٨٨/ ٦٩] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه .

يعلمه ما يضمن استمرار حياته وحياة أولاده ، يعلمه على الأقل بدايات ، ثم بعد ذلك تتطور هذه البدايات بما يكشفه اللّه من علمه لخلقه ، وبعد ذلك جاءت القرون المتقدمة فاستطعنا أن نستخدم آلات حديثة متطورة تقوم بعملية الحرث والبذر . ولكن الحقيقة الثابتة التى لم تتغير منذ بداية الكون ولن تتغير حتى نهايته ، هي أن مهمة الإنسان أن يحرث ويضع البذرة فى الأرض ويسقيها ، أما نمو الزرع نفسه فلا دخل للإنسان فيه . . وكذلك الثمر الذى ينتجه لا عمل للإنسان فيه .

ولقد نبهنا اللّه تبارك وتعالى إلى هذه الحقيقة حتى لا نغتر بحركتنا فى الحياة ونقول إننا نحن الذين نزرع ، واقرأ قول الحق جل جلاله فى سورة الواقعة : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الواقعة] .

وهكذا ظلت مهمة الفلاحة فى الأرض مقصورة على الحرث والسقى والبذر ، وحينما تلقى الحبة فى الأرض يخلق اللّه فى داخلها الغذاء الذى يكفيها حتى تستطيع أن تأخذ غذاءها من الأرض ، وإذا جئت بحبة وبللتها تجد أنها قد نبت لها ساق وجذور ، من أين جاء هذا النمو ؟ من تكوين الحبة نفسه ، واللّه تبارك وتعالى قد قدر فى كلّ حبة من الغذاء ما يكفيها حتى تستطيع أن تتغذى من الأرض ، وعلى قدر كمية الغذاء المطلوبة يكون حجم الحبة ، وحين تضعها فى الأرض فإنها تبدأ أولاً بأن تغذى نفسها ، بحيث ينبت لها ساق وجذور وورقتان تتنفس منها . . كل هذا لا دخل لك فيه ولا عمل لك فيه ، وتبدأ الحبة تأخذ غذاءها من الأرض والهواء ، لتنمو حتى تصبح شجرة كبيرة تنتج الثمر من نوع البذرة نفسها .

ومن هنا جاءت كلمة : ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ليعطينا الحق جل جلاله من الأمور المادية المشهودة ما يعين عقولنا المحدودة على فهم الغيب ، فَيشبِّه التكليف وجزاءه فى الآخرة بالبذرة والفلاحة ، أولاً لأنك حين ترمى بذرة فى الأرض تعطيك بذورًا كثيرة .

أصحاب القـرية

السـؤال : جاء فى قوله تعالى فى سورة « يس » : ﴿ أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ ولم يقل : « أهل القرية » فما السر فى ذلك ؟

الجـواب : لأن الذين يقاومون رسالات السماء ويحاربون الرسل هم أصحاب النفوذ والسلطان الذين أترفوا فى الحياة الدنيا وأعطاهم اللَّه الجاه والملك ، وفى غالب الأمر يكون باقى الناس تبعًا لهؤلاء ، إما خشية نفوذهم وسلطانهم وإيذائهم ، وإما محاولة للتقرب إليهم باعتبارهم الوسيلة المتاحة أو الظاهرة للحصول على نعم الدنيا ، ولو علم هؤلاء الناس الحقيقة وآمنوا بأن الرزق بيد اللَّه ، وأن أصحاب النفوذ لا يملكون لهم نفعًا ولا ضرا إلا ما شاء اللَّه ، لتغيرت الصورة تمامًا ، ولكن الناس تأخذ بظاهر الأشياء ، وتعتقد أن صاحب النفوذ يستطيع أن يمنح ويمنع ، ويمكن أن يعطى ويأخذ ، ورغم أن اللَّه سبحانه وتعالى يضرب الأمثال فى الحياة ، فيصبح صاحب النفوذ والسلطان بين يوم وليلة وقد زال عنه كل شىء ويهرب من مكان إلى آخر ، محاولاً إنقاذ حياته ، لو تأمل الناس هذا لعرفوا أن الذى لا يستطيع أن يحمى نفسه ويبقى النعم التى يتمتع بها لا يستطيع أن يحمى أحدًا أو يهبه شيئًا ، وإلا لكان من الأولَى أن يهب لنفسه ملكًا لا يزول ونفوذًا لا ينمحى . . ولكن لأن الدنيا تمضى بالأسباب ، فيجعل اللَّه سبحانه وتعالى إنسانًا سببًا فى أن يُجْرِى اللَّهُ نعمته على إنسان آخر ، ولكن المنعَم عليه ينسى المنعِم الحقيقى وهو اللَّه سبحانه وتعالى ، ولا يتذكر إلا الأسباب التى أعطته ، وظاهر الشىء الذى أمامه ، فيعتقد أن فلانًا يستطيع أن يمنح ويمنع ، والحقيقة أن اللَّه يجرى على يد من يشاء من عباده هذه النعم . . وأنه لولا مشيئة اللَّه ما أخذ أحد شيئًا .

هل الإنسان أصله قرد ؟!

السؤال : **قضية أثارها « دارون » أن الإنسان أصله قرد فهل هذا حقيقة ؟ كيف يكون ذلك ؟ ولماذا لم يعد الإنسان مرة أخرى إلى أصله « القرد » ؟ نود طرح القضية بشيء من التفصيل وكيف يمكن الرد عليها ؟ ونقول ما زالت بعض القرود على حالها .. لماذا ؟**

الجواب : الحياة بالنسبة لجنس الإنسان حس وحركة ووعى .. لأن اللّه قد جعل الإنسان أرقى الأجناس .

خلق اللّه الجماد ، متضمنًا الأرض والجبال ، وفيهما حس وحركة لا نراهما ،

وخلق اللّه النبات ، وجعل فيه الحس والحركة التى تناسب حياته .. وميز اللّه النبات عن الجماد بالنمو .

وميز اللّه الحيوان عن النبات بأنه سريع الحركة .

وميز اللّه الإنسان عن كل المخلوقات بالفكر .

وليس معنى ذلك أن اللّه خلق الجماد ثم طوره ليصبح نباتًا ثم طور النبات فأصبح حيوانًا ، وطور الحيوان فأصبح إنسانًا .. إن الجماد يظل جمادًا فلا يرتقى إلى نبات .

والنبات يظل نباتًا فلا يرتقى إلى الحيوانية .

والحيوان يظل حيوانًا فلا يرتقى إلى الإنسانية .

هكذا يمكن أن ننظر إلى القول الشائع عن نظرية التطور بأن الإنسان أصله قرد بأنه قول غير صحيح .

لقد خلق اللّه الأجناس كحلقات .. كل حلقة فى ذاتها ثابتة .

فالجماد يحس ويتحرك بأسلوب لا نراه ، لأنه مكون من ذرات لها

obeikandl.com

دورة كهربية يعرفها العلماء ويدرسونها كخواص للجماد ، بل يختلف جماد عن جماد فى حركته ووزنه وكثافته .

والنبات يحس ويتحرك بأسلوب نراه ، ولنا فى النباتات التى تأكل الطيور والحشرات دليل لنعرف دقة مخلوقات اللّه . والحيوان يحس ويتحرك بأسلوب مختلف عن الجماد والنبات ، وعندما يقولون إن أرقى الحيوانات وأقربها تشابهًا مع الإنسان القرد ، فهذا القول لا يملك دليلاً على صحته إنما هو افتراض نظرىّ قاله أحد العلماء ولم يثبته أحد .

ونحن نقول إن اللّه هو الذى خلق الحياة وهو الذى أخبر البشر عنها وليس عند اللّه أزمة أجناس ، إنما القرآن يضع الأمر فى نصابه فيقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] .

وذلك تأكيد على أن الحق هو الذى خلق الكائنات كلها على سنة الذكورة والأنوثة سواء أكانت نباتًا أم حيوانًا أم إنسانًا ، ثم يؤكد القرآن أن الحق تبارك وتعالى خلق كل شىء من ذكر وأنثى ، فيقول القرآن الكريم : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

إذن . . فإذا رأى الإنسان تكاثرًا فى شىء فليعلم أن الأصل الأصيل لوجود هذا الشىء هو وجود زوجين هما أصل التكاثر ، حتى الجماد فيه زوجان هما الموجب والسالب ، ولولاهما ما كان التحام ذرات الجماد .

فإذا قال قائل إن الإنسان أصله قرد ، فلنا أن نتساءل لماذا ارتقى الإنسان فى سلالة القرود ، ثم ما زالت القرود على حالها ولم ترتق حتى الآن لتصبح بشرًا ؟

وهكذا نعرف أن كل جنس من الأجناس له حياة تناسبه . . وله حركة تناسب هذه الحياة وتماسك يناسب هذه الحياة .

ولكن الإنسان قد يدرك هذه الحركة وقد لا يدركها .

ولذلك فالذين نقلوا إلينا تطور العلوم من الغرب أو الشرق نسوا أثناء

النقل أنهم ينقلون إلى أمة نزل فيها القرآن المتضمن لكل العلوم . . ولم يلتفتوا إلى بديع صنع اللّه فى الأشياء .

إن الإنسان قد لا يدرك حياة وحركة المغناطيس . . أو الجماد . . وحتى يتعلم الإنسان ذلك فإن المعلم يأتى بقضيب يمتلئ بالقوة المغناطيسية ويمررها فى اتجاه واحد على قضيب من الحديد . . وبهذا يشحن الذرات بالطاقة المغناطيسية ويتم تحريك الذرات فى اتجاه موجب وآخر سالب . . وهذا لا يراه الإنسان بالعين المجردة .

وعندما نتأمل وجود حياة مناسبة لكل جنس أو كائن فلنا أن نعرف أن أسلوب تلك الحياة يختلف من جنس لآخر . . فحياة المغناطيس ليست كحياة الإنسان . . وحياة النبات تختلف عن حياة الحيوان . . كل جنس له حياته المحكومة بقواعد تختلف عن حياة الجنس الآخر .

obeikandl.com

الليـل والنهـار

السـؤال : **هل الليل سابق النهار ؟ أو النهار سابق الليل ، وأيهما يؤثر على الآخر ؟**

الجـواب : الليل والنهار موجودان على سطح الأرض فى وقت واحد ، لأن اللَّه خلق الليل والنهار معًا . . مصداقًا لقوله تعالى فى سورة يس : ﴿ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ [يس : ٤٠] .

وكان العرب يقولون : إن الليل يسبق النهار ، ويبدأون يومهم بالليل أولاً ، أى : بعد غروب الشمس ، وهكذا عندما نزل القرآن ، كانت هناك قضيتان قضية النهار يسبق الليل وهذه لم يتعرض لها أحد ولم يقل بها أحد ، وقضية أن الليل يسبق النهار وهذا كان خطأ يعتقده العرب . . فجاء اللَّه سبحانه وتعالى ليصحح هذا الخطأ فقال : ﴿ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ .

ومعنى ذلك : أن الليل لا يسبق النهار كما تعتقدون ، وما دام الليل لا يسبق النهار ، والنهار لا يسبق الليل ، إذن فقد وجدا على الأرض فى وقت واحد .

obeikandl.com

الفرق بين المُلك والمَلكوت

السؤال : فضيلة الشيخ : نسمع كثيرًا عن مُلكٍ وملكوت . . فما الفرق بينهما ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[1] [يس : ٨٣] . هنا جاء بكلمة : ﴿ مَلَكُوتُ ﴾ ولم يجيء بكلمة : ﴿ مُلْكُ ﴾ .

وقال تعالى أيضًا : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٤٩] هنا جاء بكلمة : ﴿ مُلْكُ ﴾ ولم يجيء بكلمة : ﴿ مَلَكُوتُ ﴾ ذلك ، لأن الملك هو ما تشهده ، أما « الملكوت » : فهي الأمور الغيبية ، تأتى لك بالظواهر ، ولا تعرف ما المحركات وراء هذه الظواهر .

❁ ❁ ❁

---

(١) قال القرطبى : ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يريد السموات وما فوقها وما بينهن ، والأرضين وما تحتهن وما بينهن ، وما لا يعلمه أحد إلا هو .
وقال مجاهد : ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ خزائن كل شيء . الضحاك : ملك كل شيء . والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت .

openkandil.com